مصطلح (القصة) في النقد القصصي العربي

نقد قصة نجيب محفوظ انموذجاً

داود سلمان العنبكي
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
قسم اللغة العربية

الخلاصة:

نبّه البحث إلى ارتباط المصطلح على وجه خاص بالكتابات المبكرة في تاريخ النقد الروائي العربي عامة ونقد رواية نجيب محفوظ خاصة، إذ غالباً ما يفضّل الناقد استخدام مصطلح (قصة) واطلاقه على الرواية المنقودة وعدم استخدام مصطلح (رواية).

وعرض البحث صوراً مختلفة لاستخدام نقاد نجيب محفوظ لهذا المصطلح، ومنها:-

١- الدلالة العامة التي تشير إلى فن القصة وأصنافها المختلفة أو إلى أعمال نجيب محفوظ القصصية عامةً.

٢- الدلالة العامة مرة والدلالة على أعمال نجيب الروائية مرة أخرى.

٣- الدلالة العامة مرة والدلالة على قصص نجيب القصيرة مرة أخرى.

٤- الدلالة على قصص نجيب القصيرة.

٥- التنقل بحرية بين مصطلح (قصة) ومصطلح (اقصوصة) عند الاشارة إلى قصص نجيب القصيرة.

وركز البحث على حقيقة أن مصطلح (القصة) من أكثر المصطلحات استخداماً بين نقاد القصة بسبب ما يمتلكه من عمومية تجعله صالحاً للاطلاق على جميع الأصناف القصصية.

ووقف البحث على الاستخدامات الخاصة للمصطلح وأشار إلى الاضطراب الاصطلاحي الذي اسهم به بعض النقاد.

ارتبط هذا المصطلح بشكل خاص بالكتابات النقدية المبكرة في تاريخ النقد الروائي العربي لشيوعه وعدم انتشار المصطلحات القصصية الأخرى. وكان نقاد الرواية يفضلون -على العموم- استخدام مصطلح (قصة) واطلاقه على الرواية المدروسة وعدم استخدام مصطلح (رواية) فضلاً عن أن مصطلح (رواية) كان مقترناً بأعمال قصصية هي غالباً ما تكون متدنية فنياً كالروايات البوليسية وروايات التسلية والترفيه. ومصطلح (رواية) كما هو معروف كان يستخدم أيضاً للدلالة على فن (المسرحية)[١].

ولهذا فقد اقتصر كثير من الكتابات النقدية المبكرة وعدد غير قليل من الكتابات النقدية اللاحقة على استخدام مصطلح (القصة). ولعل مما يجدر التنبيه اليه أن أول مقالة عن أدب نجيب محفوظ الروائي لم تطلق على رواية (عبث الأقدار) التي عنيت بها المقالة غير مصطلح (القصة)[٢].

ومن المقالات المبكرة التي اقتصرت على استخدام هذا المصطلح:

١- كفاح طيبة لنجيب محفوظ، سيد قطب، الرسالة، ع ٥٨٧، ١٢ اكتوبر، س١٢، ١٩٤٤، ص٨٨٩ و ٨٩٠ و٨٩١ و٨٩٢. و: د. أحمد ابراهيم الهواري، مصادر نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، دار المعارف بمصر، ١٩٧٩، ص١٨٠ و١٨٢ و ١٨٤. و: الطريق والصدى، ص ١٥٢ و ١٥٤ و١٥٦ و ١٥٧.

٢. خان الخليلي، أحمد عبد الغفار، مجلة الراديو المصري، ٢٩ سبتمبر، ١٩٤٥. و: الطريق والصدى، ص١٥٩.

٣. القاهرة الجديدة قصة للاستاذ نجيب محفوظ ، محمد سعيد العريان، الكاتب المصري، مجلد ٣، ع ١٢، سبتمبر، ١٩٤٦، ص ٧٥٦-٧٥٧. و: الطريق والصدى، ص ١٦٥[٣].

٤. زقاق المدق، محمد فهمي، المقتطف، ديسمبر، ١٩٤٧. و: مصادر نقد الرواية، ص١٩٨ و١٩٩. و: الطريق والصدى، ص ١٧٨.

٥. بداية ونهاية لنجيب محفوظ، زكي المحاسني، الأديب، الجزء ١٠، س١٠، المجلد ٢٠، اكتوبر، ١٩٥١، ص٥٠-٥١. و: الطريق والصدى: ص٢٠٠ — ٢٠٢[٤].

ووجدنا هذا الاستخدام في كتابات لاحقة، منها:

١. أزمة الوعي السياسي في قصة السمان والخريف، د. محمد غنيمي هلال، الكاتب، ع٢٢، س٢، يناير، ١٩٦٣، ص ٢٤ وما بعدها.

٢. التفسير النفسي للأدب، د.عز الدين اسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، مايو، ١٩٦٣، ص ٢٥٠ و٢٥٢ على سبيل المثال.

٣. (ضو البيت أو بندر شاه) انتفاضة جديدة في الأدب السوداني، نبيل أصفهاني، الاسبوع العربي، ع٦٣٣، س١٣، ٢٦ تموز، ١٩٧١ ص٥١.

٤. أولاد حارتنا بين الرؤيا والتعبير، ريتا عوض، الآداب، ع٦، س٢٢، حزيران، ١٩٧٤، ص٥٠ و٥٣. و: أدبنا الحديث بين الرؤيا والتعبير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، نيسان، ١٩٧٩، ص٢٠٦ و٢١٧.

ومصطلح (القصة) هو المصطلح الغالب على المصطلحات الأخرى التي ترد في كثير من المقالات، فسيد قطب يستخدم هذا المصطلح مرات عديدة في مقالته عن (خان الخليلي) لكنه لا يورد مصطلح (قصة طويلة) غير مرة واحدة في نهاية المقالة[٥].

وهو الغالب على مقالة أنور المعداوي عن (بداية ونهاية)[٦] ومقالة أحمد عباس صالح عن (السراب)[٧].

ويتنقل بعض النقاد بحرية بين مصطلحي (قصة) و (رواية) عند اشارتهم إلى روايات نجيب محفوظ، ومن هؤلاء د. عبد القادر القط الذي تنقل بين هذين المصطلحين استناداً إلى المعنى العام لمصطلح (القصة) حيث يجعله بمثابة الكل الذي يتضمن الأجزاء أو الأصناف القصصية، فهو يقول ((ومثال آخر من قصصنا المصري الحديث نجده في رواية نجيب محفوظ (بداية ونهاية)))[٨]. ويفعل ذلك مع الروايات التي يتعرض لها بالدارسة في كتابه إذ يسميها (روايات) مرة و(قصصا) مرة أخرى[٩]، فهو يقول قبل دراسة هذه الروايات ((وسأقدم في هذا البحث ثلاث قصص لثلاثة مؤلفين مصريين))[١٠]، وبعد أن ينتهي من دراستها يقول ((رأينا من دراسة تلك الروايات الثلاث))[١١].

والدكتور لويس عوض يطلق على (بين القصرين) مصطلح (قصة) مرة ومصطلح (رواية) مرة أخرى[١٢]. ويتنقل د.غالي شكري بحرية بين هذين المصطلحين في دراسته (معنى الجنس عند نجيب محفوظ)[١٣] التي عنيت بدراسة هذا الموضوع في عدد من روايات نجيب.

وهناك صور كثيرة من استخدامات مصطلح (القصة) في كتابات نقاد نجيب محفوظ، منها[١٤]:

١. استخدام المصطلح بدلالته العامة التي تشير إلى فن القصة وأصنافها عامة أو إلى أعمال نجيب القصصية عامة.
٢. استخدامه بدلالته العامة مرة وبدلالته على أعمال نجيب الروائية مرة أخرى.
٣. استخدامه بدلالته العامة مرة وبدلالته على قصص نجيب القصيرة مرة أخرى.
٤. استخدامه عند الاشارة إلى قصص نجيب القصيرة.
٥. التنقل بحرية بين مصطلحي (قصة) و (اقصوصة) عند الاشارة إلى قصص

نجيب القصيرة.

ويظل مصطلح (القصة) من أكثر المصطلحات التجنيسية استخداماً بين نقاد القصة بسبب دلالته العامة على جميع الأصناف القصصية وما يمنحه من حرية واسعة تنقذ الناقد من تهمة القصور والخطأ حينما يقف حائراً أمام تصنيف عمل قصصي ما وتمكنه من اطلاقه على جميع الأعمال القصصية.

وارتأينا من أجل توضيح السلطة الكبيرة التي يفرضها مصطلح (قصة) على النقاد أن نقف وقفة خاصة على كتاب د. محمود حامد شوكت (الفن القصصي في الأدب العربي الحديث) الصادر عام ١٩٦٣، فقد استخدم الناقد مصطلح (القصة) عند دراسته روايات نجيب التاريخية (عبث الأقدار) و (رادوبيس) و (كفاح طيبة)[١٥]، وروايات أخرى لغيره، واستخدم مصطلح (الاقصوصة) عنواناً للفصل الذي درس فيه عدداً من القصص القصيرة، وهو المصطلح الذي جعله مرادفاً لمصطلحي (القصة القصيرة) و(القصة)[١٦]. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: لماذا يصرّ الناقد على الاقتصار على استخدام مصطلح (القصة) عند دراسته (الرواية) ولكنه يبتعد عن عموميته عند دراسته (القصة القصيرة) فيستخدم مصطلحي (الاقصوصة) و (القصة القصيرة)؟ فلو اقتصر الناقد على استخدام مصطلح (القصة) في الكتاب كله لأمكننا القول بسهولة: إن الناقد يفيد من عمومية مصطلح (القصة) وخاصة انه اختار لعنوان الكتاب هذا المصطلح لصلاحية اطلاقه على جميع الأعمال القصصية التي يدرسها في كتابه سواء أكانت روايات أم قصصاً قصيرة فهو يريد بلا شك التخلص من مسؤولية التحديد الدقيق للصنف القصصي بالاستناد إلى مصطلح (القصة) ذي الدلالة العامة وهو المصطلح الذي ينقذه من مشكلة الشروط الفنية لفن الرواية إذا ما استخدم مصطلح (الرواية) لأنه يعلم أن من بين الأعمال القصصية الطويلة التي يدرسها ما لا يقرن بالرواية إلا على سبيل التجوز. ولو لم يستخدم الناقد مصطلح (القصة) في الفصل الخاص بالقصة القصيرة لأمكننا القول: إن

مصطلح (القصة) لدى الناقد يشير إلى مصطلح (الرواية) كما يشير مصطلح (الاقصوصة) إلى (القصة القصيرة).

ان الباحث ليلمس حذراً واضحاً وامتناعاً مقصوداً من استخدام مصطلح (الرواية) إذ لا يبدو أن المصطلح بمعناه الفني قد اتيح له من الشيوع والاستقرار ما يشجع على الاطمئنان اليه والأخذ به من غير تردد. وكتاب د. محمود حامد شوكت وان كان قد طبع عام ١٩٦٣ إلا اننا نذهب إلى الظن بانه كتب في نهاية الخمسينات[١٧].

أما استخدامه مصطلح (الرواية) في الفصل الخاص بـ (حركة الترجمة) عند حديثه عن سلسلة روايات الجيب وروايات الصباح والرواية البوليسية[١٨]، فلا ينهض إلا دليلاً يضاف إلى ما قلناه عن حذره وامتناعه ذلك أن الناقد منقاد هنا إلى تسميات شائعة دالة على هذه الأعمال، وليس في هذا الاستخدام ما يعبر عن علاقه راسخة وواضحة بقضية المصطلح الروائي. فورود هذا المصطلح مقترناً بتلك الألوان القصصية ذات المستوى المتدني فنياً يكشف بوضوح عن نظرة الناقد المتواضعة عنها وهو الأمر الذي رسخ لديه فكرة أن مصطلح (الرواية) يقترن بالأعمال القصصية التي تفتقد إلى عناصر البناء الفني المكتملة على الرغم من أن الكتاب يثبت أن الناقد يمتلك وعياً نقدياً ناضجاً يميز بين درجات الاجادة الفنية في الأعمال القصصية.

ومما يثبت تلك النظرة المبكرة لدى الناقد عن مصطلح (الرواية) هو ورود ما يؤكد ميله إلى دلالة مصطلح (الرواية) على المسرحيات والتمثيليات وهو ما كان شائعاً في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ النقد الروائي العربي.

ويرد أيضاً مصطلح (الرواية) لدى د.محمود حامد شوكت عند ذكر رواية أجنبية مشهورة[١٩]. أو عند الحديث عن روايات جرجي زيدان التاريخية[٢٠].

أما عند حديثه عن أعمال طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ الروائية فانه لا يستخدم هنا المصطلح وهو ما يدل على حذر

واضح لم نلمسه عند ذكره رواية أجنبية معروفة لاقتران اسم الرواية بالمصطلح وهو الشيء نفسه الذي دفعه إلى اطلاق مصطلح (رواية) على أعمال جرجي زيدان لأن المصطلح قد صار شبيهاً باللازمة الشائعة التي ارتبطت بأعماله ، فتعبير (روايات جرجي زيدان التاريخية) أقرب إلى التسمية الدالة منه إلى المعنى الاصطلاحي لمصطلح (الرواية) لأننا نستبعد أن يكون الناقد قد فكر أصلاً بمصطلح (الرواية) الذي استخدمه.

وهذا الحذر نجده أيضاً في استخدامه مصطلح (القصة) نفسه فلا يرد غالباً المصطلح واسم الرواية مقترنين ببعضهما فهو يكتفي بذكر اسم الرواية ولا يصرح بالمصطلح قبله أو انه يستخدم المصطلح خلال حديثه عن الرواية وفي المواضع التي لا يرد فيها اسمها.

ويظل مصطلح (القصة) المصطلح الأثير لدى د.محمود حامد شوكت فهو يستخدم (القصص الطويلة)[٢١] و(القصة التاريخية المطولة)[٢٢] و(القصة الطويلة)[٢٣]، وهو في كل المواضع التي ترد فيها **صفة (الطويلة) لا** يعني غير سمة طول العمل القصصي أو حجمه وليس فيها ما يشير إلى وعي معين بقضية تجنيس الأعمال القصصية.

ويستخدم مصطلح (القصص العصرية الطويلة) ليشير به إلى روايات نجيب الاجتماعية المعروفة التي أعقبت رواياته التاريخية من دون أن يذكر أسماءها أو يتحدث عنها[٢٤] إلا أنه يصرح بأسمائها في كتابه الآخر (مقومات القصة العربية الحديثة في مصر)[٢٥].ويبدو أن مصطلح (القصة) قد ترسخ كثيراً في نفس الناقد وإلى الحد الذي يسمي فيه (القاهرة الجديدة) و(خان الخليلي) و(زقاق المدق) مجموعات[٢٦]، وهي تسمية لا تطلق إلا على القصص القصيرة المجموعة في كتب.

وإذا ما وجدنا كتابات يقتصر فيها أصحابها على استخدام مصطلح (قصة) عند الاشارة إلى روايات محفوظ وأخرى يغلب فيها استخدام هذا

المصطلح على المصطلحات الأخرى فاننا وجدنا أيضاً كتابات يقتصر فيها أصحابها على استخدام مصطلح (رواية) وأخرى يغلب فيها استخدام مصطلح (رواية) على المصطلحات الأخرى.

وإذا ما كانت هناك كتابات يتنقل أصحابها فيها بحرية بين مصطلحي (قصة) و(اقصوصة) عند الاشارة إلى قصص نجيب القصيرة فان هناك كتابات أخرى يتنقل فيها أصحابها بين مصطلحي (القصة القصيرة) و(الاقصوصة) لكن نقاداً آخرين يصرون على استخدام مصطلح (اقصوصة)[٢٧].

ويحاول بعض النقاد أن ينبه إلى استخدامه الخاص لمصطلح (قصة). فعنوان كتاب د.يوسف نوفل (القصة والرواية بين جيل طه حسين وجيل نجيب محفوظ)[٢٨] يوحي ابتداء إلى ان مصطلح (القصة) لدى الناقد مُعدٌ لأداء دلالة خاصة أو للاشارة إلى صنف (القصة القصيرة) على وجه التحديد إلا أن سعي الناقد إلى شرح مصطلحه في مقدمة كتابه بالقول ((ونقصد من أشكال الفن القصصي الرواية وهي أطول تلك الأشكال، والقصة وهي ما تتوسط بين الرواية والقصة القصيرة))[٢٩] يسحب إلى الظن أنه يريد بهذا المصطلح الصنف القصصي (الرواية القصيرة) الذي يجعله كثيرون -ود.نوفل منهم كما نظن- مرادفاً لمصطلح (القصة القصيرة الطويلة) وبديلاً له وليس بصفته مصطلحاً ثانياً له سماته الخاصة التي تختلف عن سمات المصطلح الآخر (القصة القصيرة الطويلة) والذي نميل إلى اختصاره بمصطلح (القصة الطويلة)[٣٠].

ولكن د.نوفل قد اكتفى باشارته تلك في مقدمة الكتاب ولم يحاول تطبيقها عند تعرضه للروايات التي نتوقع استخدام مصطلح (قصة) للدلالة عليها انسجاماً مع تحديده الاصطلاحي له، فهو يطلق مصطلح (رواية) على روايات نجيب محفوظ القصيرة (اللص والكلاب) و(الطريق) و(الشحاذ) -التي كان واعياً بسماتها الاسلوبية الجديدة- وقصته الطويلة (قلب الليل)[٣١]. وهو المصطلح الذي يطلقه على روايات نجيب الأخرى من مثل : (عبث الأقدار) و(رادوبيس)

و(كفاح طيبة) و(القاهرة الجديدة) و(زقاق المدق) و(السراب)[٣٢].

ويبدو أن د.يوسف نوفل لم يكن جاداً تماماً عند تمييزه بين مصطلحي (الرواية) و(القصة) ولكنه أراد فقط أن يتخلص من مشكلة اصطلاحية بكلمات قليلة يقولها في المقدمة لتعفيه -كما تصور- بعد ذلك من متابعة استخدام المصطلح في متن الكتاب، إذ اننا لا نشك في انه كان مطلعاً على آراء نجيب محفوظ التي يؤكد فيها دائما أن أعماله بعد الثلاثية لا تنتمي إلى قالب (الرواية) بل هي تندرج في مصطلح (القصة) أو كما يسميه بالتعبير الإنكليزي (نوفيليت Novelette)[٣٣]، الذي يعني (الرواية القصيرة) والذي يعده كثيرون المصطلح البديل لمصطلح (القصة القصيرة الطويلة)، ولقد أراد د.نوفل مجاراة نجيب محفوظ وهو صاحب هذه الروايات القصيرة في هذا التوضيح خشية من الوقوع في الوهم الاصطلاحي[٣٤].

أما د.فاطمة الزهراء محمد سعيد فانها لم تقم بأي شرح اصطلاحي في مقدمة كتابها (الرمزية في أدب نجيب محفوظ) كالذي قام به د.يوسف نوفل في مقدمة كتابه ولكنها أفادت بصمت من مصطلح (قصة) بدلالته المحددة تلك- أي الاشارة إلى روايات نجيب القصيرة- وهذا ما نستنتجه من خلال عرضها طريقتها في دراسة روايات نجيب محفوظ، إذ تقول في مقدمة كتابها ((وسنحاول من خلال فصول الدراسة القادمة أن نعرض لقصص وروايات نجيب محفوظ))[٣٥]، وتقول في خاتمته ((من خلال دراستنا للقصة والرواية عند نجيب محفوظ))[٣٦].

ولما كان الكتاب مخصصاً لدراسة رواية محفوظ فقط فان هذا الاستخدام يعني انها تميز بين المصطلحين. ويؤكد هذا ماورد من عبارات تعزز هذه القصدية في الاستخدام، فهي تقول -على سبيل المثال- ((من خلال خمس قصص وروايات.. تبدأ.. بـ (اللص والكلاب)..(السمان والخريف) و(الشحاذ) و(ثرثرة فوق النيل) وتنتهي (بميرامار)))[٣٧].

وعلى الرغم من انها تورد في موضع آخر تعبير (قصص وروايات) وتطلقة على الروايات ليس بينها روايات محفوظ القصيرة حين تقول ((يكتب محفوظ ست قصص وروايات هي (القاهرة الجديدة)..ثم تليها قصة (خان الخليلي) ... وتليها رواية (زقاق المدق) ... وتليها قصة (بداية ونهاية)...وتليها قصة (السراب)..ثم رواية (بين القصرين)))[٣٨]، وبما لا يشير إلى أي تمييز بين المصطلحين إلا أن الواضح جداً انها لم تطلق على روايات نجيب القصيرة غير مصطلح (قصة) بينما كان مصطلح (رواية) هو المصطلح الرئيس عند تعرضها للروايات الأخرى التي سبقت (اللص والكلاب)، فهي لم تطلق غير مصطلح (رواية) على (بداية ونهاية)[٣٩] و(ثرثرة فوق النيل)[٤٠].

ولا يغير من حقيقة اطلاقها مصطلح (القصة) على روايات نجيب القصيرة التي تبتدئ بـ (اللص والكلاب) انها اطلقت مصطلح (رواية) على الرواية القصيرة (الشحاذ) في موضعين[٤١]، إذ لا يبدو الاستخدام معبراً عن موقفها وخاصة انها أطلقت المصطلح في غير الفصل المخصص لدراسة هذه الرواية. أما المصطلح (الرواية) الوارد في الفصل الخاص بـ (الطريق)[٤٢]، فقد جاء في نص نقدي مقتبس عن أحد نقاد نجيب محفوظ الذين عنوا بدراسة هذه الرواية القصيرة، ونستطيع أن نضيف إلى ما قلناه من أدلة استخدامها مصطلح (قصة) بتلك الدلالة الخاصة أن الناقدة تستخدم تعبير (المرحلة الروائية الجديدة)[٤٣]، وتعني به روايات نجيب محفوظ المتمثلة برواية (أولاد حارتنا) والروايات القصيرة التي تلتها مباشرة والتي كانت (اللص والكلاب) أولها. وقد مر بنا انها تطلق على هذه الروايات القصيرة مصطلح (قصة)، أما (أولاد حارتنا) فانها قد ميزتها من تلك الروايات ولم تطلق عليها غير مصطلح (رواية)[٤٤]، مع انها تدرجها مع تلك الروايات القصيرة في مرحلة واحدة تسميها (المرحلة الروائية الجديدة).

ويصر الناقد وليد نجار اصراراً غريباً على استخدام مصطلح (قصة) للدلالة على أعمال نجيب محفوظ الروائية التي عني بها في دراسته (قضايا السرد

عند نجيب محفوظ) وعدم اطلاق مصطلح (رواية) لأداء هذه الدلالة، وهو يقول بوضوح ((اعتمدت مصطلح (قصة) للدلالة على مؤلف من مؤلفات محفوظ ومصطلح (رواية) للدلالة على معناها العلمي كما فرضته عدة البحث في هذه الدراسة))[٤٥].

لقد أورد اسم الرواية مسبوقاً بهذا المصطلح (قصة) غالباً[٤٦]. واستخدم أيضاً تعبير (قصص نجيب)[٤٧]، إلا أن هناك أعمالاً أخرى لم ترد إلا مجردة من ذكر المصطلح[٤٨].

وسنتخطى ما في كلمتي (مؤلَّف) و (مؤلَّفات) من أصرار على عدم استخدام مصطلح (رواية) حين وجد أن من غير الملائم أن يعيد المصطلح نفسه (قصة) مرات عديدة في العبارة نفسها ونقول أن هناك مواضع عديدة قد دلت على وضوح القصد في ملاحظته المنهجية تلك ومنها قوله عن رواية (بداية ونهاية) ((لا تختلف هذه القصة عن (القاهرة الجديدة).. أما وفرة الوحدات الزمنية غير المحددة في هذه القصة))[٤٩]، أو قوله في موضع آخر عن روايتي (القاهرة الجديدة) و(خان الخليلي) ((لا تختلف دائرة التحول في قصة خان الخليلي عن القصة السابقة))[٥٠]، لأن القارئ يعرف أن المقصود بمصطلح (القصة) في هذين النصين هو العمل الروائي نفسه.

ولكن الناقد قد أسهم في اضطراب المصطلح والاخلال بملاحظته المنهجية في مواضع أخرى، فهو يقول ((وفي السراب تبدأ القصة بالتركيز على بطلها (كامل رؤبة لاظ) بعد أن فقد أمه وزوجته .. من هذه النقطة تبدأ الرواية برجوع متفاوت إلى الوراء))[٥١]. وهذا يعني انه استخدم المصطلحين (قصة) و (رواية) بدلالة واحدة هي (الدلالة العلمية) وهو ما لا تشير اليه ملاحظته المنهجية التي تضع لهذين المصطلحين دلالتين مختلفتين، وربما كان من الأوفق أن يقول ((وتبدأ قصة السراب بالتركيز على ...)) وهي العبارة التي استخدم ما يشبهها حين قال ((وهذا ما تبيناه في قصة السراب))[٥٢]، أو حين قال

٣١٨ ـــــــ

((ففي قصة (السراب) مثلاً يظهر الكاتب..))[٥٣].

ويستخدم الناقد مصطلح (رواية) على غير الصورة التي أكدها في تلك الملاحظة المنهجية، فحين نقرأ قوله ((ونصل إلى رصد (التوقعات) في (الثلاثية) لنجد أنها داخلية متصلة بأحداث الرواية الأساسية))[٥٤]، فاننا لا نفهم من المصطلح المستخدم في عبارته تلك غير دلالته على العمل الروائي (الثلاثية) وهي ما كان ينبغي أن يؤديها مصطلح (القصة) على وفق ملاحظته.

ولكن أشد صور هذا الاضطراب تظهر في قوله ((عند نهاية كل قصة من (أولاد حارتنا) ابتداء من قصة (جبل) حتى قصة (عرفة)..))[٥٥]، إذ انه يجعل من كل فصل من فصول (أولاد حارتنا) رواية وتتحول الرواية إلى مجموعة من الروايات إذا ما أخذنا بدلالة مصطلح (قصة) لديه على العمل الروائي.

ويبدو أن الناقد قد نسي تحديداته الاصطلاحية تلك حين عرض لآراء تنظرية من مثل قوله في مقدمة محور التوقعات ((والتوقعات الخارجية كالرجعات الخارجية تتعلق عرضيا بالخبر الأساسي في القصة.. ونبدأ (بالتوقعات الداخلية) المؤلفة من اشارات مستقبلية تساهم بدورها في وظيفة الخبر الأساسي في القصة))[٥٦]، أو حين ينقل آراء عن الآخرين من مثل ((ثمة طريقتان بارزتان في كتابة القصة، يظهر الكاتب في الأولى كشخصية (ككذا) مباشرة في حركة الأحداث بينما يغيب في الثانية ولا يظهر أي أثر لشخصه في مجرى الأحداث))[٥٧]، فالقارئ يفهم بوضوح تام دلالة هذا المصطلح الشائعة على فن القصة عامة لولا اسهام الناقد في اضطراب هذه الدلالة بعد تحديدها بمعنى خاص في مقدمة كتابه، وكان عليه في هذين الموضعين أو ما يشبههما ان يقدم -في الأقل- استدراكاً ينقذه من هذا الخلط.

وليس هناك بعد ذلك ما يدعو الى الامتناع عن استخدام مصطلح (رواية) للدلالة على العمل الروائي بل أنه ليس هناك ما يسوغ ملاحظته المنهجية أصلاً والتي لم تسهم ألا في خلق الاضطراب الاصطلاحي في الكتاب.

إن قارئ الكتاب يستطيع التمييز بين دلالة مصطلح (الرواية) في عبارة ((إن رواية (بداية ونهاية)..)) ودلالته في عبارة ((تبتدئ رواية احداث (بداية ونهاية)...)) ويبدو ان الناقد نفسه لم يكن مقتنعاً تماماً بالتحديد الذي ارتآه لمصطلح (القصة) فلم يستخدمه في عنوان كتابه لأنه رأى بلا شك أن العنوان على هذه الصورة (قضايا السرد في قصص نجيب محفوظ) غير مقبول تماماً لأن كتابه معني بدراسة الرواية وان مصطلح (قصص) أقرب إلى الدلالة على (القصة القصيرة) منه الى الدلالة العامة في مصطلح (القصة) الذي يقترن بالفن القصصي عامة، فاضطر الى حذف المصطلح وكان بأمكانه أن يستخدم مصطلح (الرواية) في متن الكتاب للدلالة على العمل الروائي وحينذاك سيجد أن من الأوفق ان يكون عنوان الكتاب (قضايا السرد في روايات نجيب محفوظ).

الخاتمة

ارتبط مصطلح (القصة)على وجه خاص بالكتابات المبكرة في تاريخ النقد الروائي العربي والمتمثلة بكتابات سيد قطب ود.طه حسين و..اذ غالبا ما يفضل الناقد استخدام مصطلح (قصة) واطلاقه على الرواية المدروسة وعدم استخدام مصطلح (رواية). فمصطلح (قصة) هو المصطلح الشائع في ذالك الوقت فضلاً عن اقتران مصطلح (رواية) بأعمال هي غالباً ما تكون متدنية فنياً كالروايات البوليسية مثلاً.. ومصطلح (رواية) كما هو معروف كان يستخدم أيضاً للدلالة على (المسرحية) وهو استخدام ما زلنا نجد آثارة حتى الان وخاصة في مصر.

وعرضنا الصور المختلفة لاستخدامات النقاد لهذا المصطلح وركزنا على الوقوف أمام الاستخدامات الخاصة له، فالدكتورة فاطمة الزهراء محمد سعيد لاتستخدم مصطلح (قصة) إلا لأداء دلالة خاصة وهي قرنة بروايات نجيب القصيرة من مثل (اللص والكلاب) و(السمان والخريف) و(الطريق). أما

مصطلح (رواية) فأنها استعملته مع أعمالة الروائية التي سبقت (اللص والكلاب) من مثل (القاهرة الجديدة) و(خان الخليلي) و(زقاق المدق).

ويصر د.وليد نجار اصراراً غريباً على الاعلان بأنه قد استخدم مصطلح (قصة) للدلالة على أعمال نجيب محفوظ الروائية ولم يستخدم مصطلح (رواية) إلا بدلالته العلمية، وهو قيد اصطلاحي ليس له ما يسوغه فضلاً عن أن الناقد نفسه قد أسهم كثيراً في اضطراب المصطلح وتشويش ذهن القارئ، لأنه قد أخلّ بالاشتراطات الاصطلاحية المنهجية التي أعلنها.

وهناك نقاد آخرون كالدكتور عز الدين اسماعيل و د.محمد غنيمي هلال -على سبيل المثال- لم يستخدموا غير مصطلح (قصة) عند الاشارة إلى روايات محفوظ لكنهم لم يصطنعوا شرطاً منهجياً ولم يختلقوا قيداً غير ضروري، ولهذا فان القارئ يدرك بسهولة أنهم يستندون إلى دلالة المصطلح العامة التي تتسع لاحتواء جميع الأصناف القصصية.

وللسبب نفسه فان هناك نقاداً يتنقلون بحرية بين مصطلحي (قصة) و(رواية) عند الاشارة إلى رواية ما. ومن هؤلاء د.عبد القادر القط ود. غالي شكري ورجاء النقاش...

الهوامش والتعليقات والمصادر ❖

(١) لعل من الطريف أن نشير إلى أن دلالة مصطلح (رواية) على فن المسرحية ترد في بعض أعمال نجيب محفوظ نفسه فقد ورد في قصة قصيرة عنوانها (روض الفرج) تضمها مجموعته القصصية (همس الجنون) ان الاسطى شبلي يقول للشاب عبد المعز ((تعال نذهب معاً هذا المساء إلى روض الفرج والعشاق لمشاهدة رواية (اشمعنى) وهي كوميديا في غاية الاضحاك والبهجة، مارأيك؟)) – الناشر مكتبة مصر، الفجالة، دار مصر للطباعة، ط٥، ١٩٦٦، ص١١٤. وتنظر ص ١١٥. وليس عام ١٩٣٨ هو تاريخ الطبعة الأولى لهذه المجموعة وكما تذكر قوائم أعماله الملحقة بطبعاتها بل هو عام ١٩٤٧ على الظن الغالب. ينظر في تفصيلات هذا الموضوع:

د. عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مطبعة دار نشر الثقافة، الفجالة، ١٩٧٨، ص٩١ وما بعدها - وفي روايته القصيرة (عصر الحب) تتحاور الشخصيتان على النحو الآتي: ((فقال الاستاذ يوسف راضي: لا تنسى (كذا) انهم يغيرون العرض كل اسبوع والمكان لا يحتمل عرض رواية واحدة أكثر من اسبوعين أو ثلاثة ولو كانت جديدة. فقال حمدون: أنا عندي أيضاً رواية جديدة!)). ويقول يوسف راضي في موضع آخر ((من المناسب أن تفتتح الموسم بروايتي)) –مكتبة مصر، الفجالة، دار مصر للطباعة، القاهرة ، ب. ت، ص ٩٤و ١١٣ على التوالي. والطبعة صدرت بعد فوز نجيب بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨. وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الرواية عام ١٩٨٠-. والمقصود بمصطلح (رواية) في جميع هذه المواضع هو النص المسرحي الذي يمثل على المسرح. وورد في رواية نجيب القصيرة (أفراح القبة) مصطلح (رواية) ليؤدي هذه الدلالة مرة واحدة حين يعلق طارق رمضان احدى شخصيات الرواية قائلاً ((شيء مضحك، رواية هزلية، المحروس سيتزوج من بهية)) –مكتبة مصر، الفجالة، دار مصر للطباعة، ط٣، ١٩٨٧، الفصل المسمى باسم هذه الشخصية، ص٢٠. وقد صدرت

× عمدت إلى ذكر المواضع المختلفة التي نشرت فيها الدراسة والمقالة النقديتان لأجل معرفة التاريخ الدقيق للنشر الأول ولتسهيل رجوع القارئ اليهما. ولم أخصص لمصادر البحث فقرة خاصة بسبب كثرة هذه المصادر فضلاً عن انها مذكورة في هوامش البحث.

الطبعة الأولى من هذه الرواية عام ١٩٨١-. ومن الجدير بالذكر أن مصطلح (مسرحية) قد استخدم كثيراً في هذه الرواية بسبب انها تنتمي إلى ما يسمى بـ (رواية النص) وان ثيمتها الرئيسة تقوم على قضية النص المسرحي والتمثيل والمتلقي. وواضح أن مصطلح (رواية) في الشاهد الذي ذكرناه لا يشير إلى فن المسرحية حقيقة لأن صاحبه يريد القول أن زواج هاتين الشخصيتين يشبه ما يحدث في المسرحية الهزلية.

ومن المفيد أن نذكر أن هذه الدلالة ما زالت شائعة في ما نشاهده من أعمال سينمائية وتلفازية مصرية.

وتجدر الاشارة إلى أن د.علي شلش يذهب في تعليقه على مقالة سيد قطب المنشورة في مجلة الرسالة عام ١٩٤٦ عن رواية (القاهرة الجديدة) إلى أن مصطلح (القصة) كان في وقتها شائعاً في مصر في الوقت الذي كان فيه ((أبناء الشام يميلون إلى استخدام مصطلح (الرواية))) – الطريق والصدى، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠، ص١٢٢- .

ولا أرى أن استخدام هذين المصطلحين كان خاضعاً لقانون جغرافي، لأن الحقيقة الراسخة التي تصدق على بلدان عربية عديدة ومنها مصر والعراق وغيرهما ما أشرنا اليه من أن مصطلح (القصة) هو المصطلح الشائع في تلك المراحل المبكرة وأن مصطلح (رواية) يقترن بالأعمال القصصية المتدنية فنياً كالروايات البوليسية وروايات التسلية والترفيه فضلاً عن اقترانه بفن المسرحية.

(٢) محمد جمال الدين درويش، عبث الأقدار، تأليف الاستاذ نجيب محفوظ، الرسالة، ع٣٢٦، س٧، ٢ اكتوبر، ١٩٣٩، ص١٩٢١-١٩٢٢.
و: الطريق والصدى، ص١٥١.

(٣) وتوثيق المقالة الصحيح هو ما ذكرناه وليس كما ذكر د.شلش من أن المقالة نشرت في يوليو.

(٤) وينظر أيضاً ما كتبه د.طه حسين حيث انه يستخدم تعبير (قصص الاستاذ نجيب محفوظ) ومصطلح (قصة) على امتداد مقالته (أصداء) وبالدلالة الأقرب إلى مصطلح (الرواية) – الجمهورية، ٢ /٩/ ١٩٥٤. و : خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ك٢، ١٩٧٨، ص١٣٨. وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في بيروت عام ١٩٥٥- وفي مقالته (من أدبنا الحديث) التي عنيت برواية (زقاق المدق) لم يستخدم غير مصطلح

(القصة)- نقد واصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ك٢، ١٩٨٧، ص١١٥ و١١٦ و١٢٢ على سبيل المثال. واستخدم ايضاً كلمة (كتاب) - ينظر ص ١١٥ - ١١٦ على سبيل المثال-. ولم أتمكن من معرفة تاريخ نشر المقالة الدقيق ولم يذكرها د. حمدي السكوت ود. مارسدن جونز في (اعلام الأدب المعاصر في مصر سلسلة بيوجرافية نقدية بيليوجرافية -١- طه حسين)، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، يوليو، ١٩٧٥. وقد صدرت الطبعة الأولى من كتاب (نقد واصلاح) في بيروت عام ١٩٥٦-. ولم يستخدم أيضاً غير مصطلح (القصة) في مقالته (بين القصرين قصة رائعة للاستاذ نجيب محفوظ)- الجمهورية، ٦ فبراير، ١٩٥٧. و: من أدبنا المعاصر، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة مصر، ط٢، مارس، ١٩٥٩، ص٨٠ و٨٢ على سبيل المثال. وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في القاهرة عام ١٩٥٨-. وينظر ما كتبه توفيق حنا في مقالته (زقاق المدق)- الرسالة الجديدة، ع٢٩، اغسطس، ١٩٥٦. و:الرجل والقمة، بحوث ودراسات الجزء الأول، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٩، ص ٤٣٦-.

(٥) خان الخليلي، الرسالة، ع٦٥٠، ١٧ ديسمبر، ١٩٤٥، ص ١٣٦٤و١٣٦٥ و١٣٦٦. و: غالي شكري: نجيب محفوظ ابداع نصف قرن، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٥و ٣٦ و٣٨ و٣٩. و:الطريق والصدى، ص١٦٠ و١٦١ و١٦٣ و١٦٤.

(٦) بداية ونهاية لنجيب محفوظ، الرسالة، ع ٩٣٩، س١٩، ٢ يوليه، ١٩٥١، ص٧٥٧-٧٥٩. و: نماذج فنية من الأدب والنقد، لجنة النشر للجامعيين، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، الفجالة، ١٩٥١، ص١٨٧- ١٨٨ و١٩٠. و: الطريق والصدى، ص١٩٣- ١٩٤ و١٩٦. واستخدم مصطلح (رواية)- الرسالة، ص٧٥٩. و:نماذج فنية، ص١٩٠. و:الطريق والصدى، ص١٩٦-. ولا أدري لماذا تحول تعبير (الرواية الممتازة) إلى مصطلح (الرواية القصصية) عند د.شلش؟. والتاريخ الصحيح لنشر المقالة هو ما ذكرناه وليس ٢يونيو كما ذكر د.شلش.

(٧) السراب، الأديب المصري، يناير، ١٩٥٠. و:الطريق والصدى، ص١٨٩ و١٩٠ و١٩١. وقد ورد تعبير (روايات طويلة) -الطريق والصدى، ص١٨٩- ومصطلح (قصة طويلة) -الطريق والصدى، ص١٨٩ و١٩٢-.

وينظر أيضاً ما كتبه: ثروت أباظة، زقاق المدق قصة الاستاذ نجيب محفوظ، الرسالة، ع٧٦٠، س١٦، ٢٦ يناير، ١٩٤٨، ص١٢٥. و: الرجل والقمة، ص٧١- ٧٣، وعبد الرحمن علي، بين